إلى روح الشهيد... الأخ والرفيق
شفيع عبد الغفار الوطنى المصرى
الصعيدى «الجدع» قضى من أجل
مصر، وفمه يلهج باسم فلسطين
وإلى أشرف وعمرو. الحاضر
والمستقبل

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة الطبعة الثانية للكتاب
.... الخطر يتعاظم

أحمد بهاء الدين شعبان

أمعنتُ النظر فى فصول وسطور هذا الكتاب، وأنا أُعِدُّ لنشر طبعته الجديدة بعد نحو خمسة عشر عاماً على صدور الطبعة الأولى منه (فى ١٩٩٦)، عساى أن أعاود تقويم ما تضمنته من معلومات وتحليلات ومواقف وتفسيرات.

والحق أنى ازددت يقيناً أنى لم أخاصم الصواب فى كل ما تضمنه هذا الكتاب من رؤى، وأفكار، ومواقف، بل أن كرّ الأيام ومرَّ السنوات، أكدا بما لا يدع مجالاً لأى اجتهاد أو شك، صحة الاستنتاجات التى خَلُصتْ إليها صفحاته، وقد كُتبت فى مفتتح عقد التسعينيات الماضى، وفى حُمَّى الترويج لما يُسمّى بعهد «السلام»، بعد توقيع اتفاقيات «أوسلو»، وكان الذين يتشككون فى جدوى هذا المسار قِلَّةً، متهمون بـ «قصر النظر»، و«التعصب»، و«مجافاة الواقع»، «والتشنج»، «والتطرف».. إلى آخر القاموس المعلوم المشهور.

فهل كان موقفنا ذاك، الذى تدعمه الوقائع الثابتة على الأرض اليوم، محض رجمٌ بالغيب، أو ضربٌ من التنبؤ؟!.. أبداً، على الإطلاق.. إنما كان يصدر عن رؤية موضوعية لمحددات الصراع العربى الإسرائيلى، وإدراك واعٍ لطبيعة المشروع الاستيطانى الإحلالى العنصرى الصهيونى ومستهدفاته فى المنطقة، ودراسة متأنية لغايات الإمبريالية الأمريكية والغربية، والأيديولوجية «النيو ـ ليبرالية»، التى تسعى للسيطرة على مقدرات الشعوب، فى العالم أجمع، وفى وطننا، على وجه التحديد، وإلى بسط الهيمنة الأمريكية عليها،

ومن هنا جاء العدوان المخطط له على العراق، واحتلال هذا البلد العربى العريق الكبير، ومن هنا كذلك كان الدفع لحصار سوريا، وتمزيق السودان، والعدوان الهمجى على لبنان وغزة، والتحريض على إيران... وغيرها من المخططات، التى تصب، جميعها، فى اتجاه حصار شعوبنا، ونهب ثرواتنا، واستنزاف قدراتنا، وتدمير مقومات حياتنا.

لقد كانت كل المؤشرات، آنذاك، إذا قرأت قراءة واقعية نزيهة، تشير، ومنذ عقد ونصف، إلى تنامى الاتجاهات المتطرفة المتسترة برداء الدين، فى منطقتنا، وذلك لأسباب موضوعية، ربما كان أبرزها تكوين «الدولة اليهودية» الصهيونية العنصرية المغتصبة، وكرد فعل (طبيعى) فى مواجهتها، بعدما تراجعت مشروعات المواجهة القومية، وانكشفت الادعاءات بـ «علمانية» الدولة الإسرائيلية، وتآكد تماهى المشروع الصهيونى السياسى، والمشروع اليهودى الدينى (العنصرى)، وتمازجهما، لإنتاج طفل هجين، هو مزيج من التطرف السياسى والعنصرية الدينية، ومعاداة الإنسانية، وانعدام المسئولية، والعدوانية المتأصلة.. وهكذا رأينا المجتمع اليهودى الصهيونى برمته، يصل إلى لحظة مكاشفة فاضحة لنفسه، ليجدها بعيده كل البُعد عن ادعاءات «الديمقراطية» و التسامح» التى خدع ويخدع بها العالم أجمع، فراح يعيد إنتاج «المحرقة النازية»، فى مواجهة العرب والفلسطينيين، على مستويات عدّة، متقمصاً دور الجلاّد، بعدما عاش لمدة ستين عاماً أو يزيد، يُندد بها، ويُحَرِّضُ العالم فى مواجهتها، ويُدين وينتقم من كل من شارك - بأى شكل فيها، وعلى ذلك، فلم أجد أدنى ضرورة لتغيير، أو لإعادة كتابة أى سطر مِن سطور هذا الكتاب، الذى استهدفت من وراء جهد إعداده، التأكيد على عنصرية هذا الكيان العدوانى المغتصب، وعلى استحالة التوصل إلى «سلام عادل» معه. فهل يمكن تصور أن يعم «السلام» بين الجلاّد والضحية.. بين القاتل والقتيل.. بين اللص والمسروق..

وبين ثنايا هذا النص كل ما يُشير إلى أن استمراء حكامنا ونخبنا لوهم السلام المخادع مع مثل هذه التركيبة المريضة الهمجية، ليس إلاّ نوع خطير من الغفلة والسذاجة، سيكلفنا آكثر بكثير مما نظن، ولنتذكر أن مثل هذا السلوك البائس كَلَّفَ «الهنود الحمر» ملايين الضحايا، ونهب كامل أراضيهم، وتحويلهم إلى «كاريكاتير» تاريخى، نراه فى المتاحف أو أفلام «الكاوبوى».. ونأسى له، بعد أن انقرض نوعه، أو يكاد.

إن الغاية من تسطير هذا الكتاب، واضحة لا لبس فيها. إنها الدعوة لاستيعاب الطبيعة العدوانية العنصرية الأصلية لإسرائيل، وهذه الطبيعة (البنيوية) هى التى تقف من خلف كراهية الدولة الصهيونية للعرب وللفلسطينيين وللمصريين، بل ولكل دعاة الحق والحرية والعدل والكرامة البشرية، مثلما حدث فى عدوانها الإجرامى على «أسطول الحرية» مؤخراً.

والرسالة التى تتضمنها سطور هذا الكتاب، هى توجيه الانتباه إلى المخاطر الكبيرة المترتبة على تحالف «الجنرالات» و«الحاخامات»، أى اجتماع القوة العسكرية الباطشة مع التطرف الدينى، الذى يصدر عن وهم متسلط، يُصوّر أصحابه كمتحدثين رسميين باسم «الإله» و«المقدّس»، فاتحاد «السياسى» و«العسكرى» و«الداعية» فى مجتمع بُنى على الاغتصاب وأسس على العدوان، يصنع مُركّباً مُعقّداً على درجة بالغة من الخطورة. ولذا فهذا النص الذى اعتمد على عشرات المصادر الهامة، والملىء بالحقائق، والاستشهادات، والوقائع، من الماضى الأسطورى وحتى الواقع المعاش، تشير جميعها إلى ضرورة الاستيقاظ من الغفلة، والتنبه إلى ما يحيطنا من مخاطر وتهديدات.

فالعدو يتربص بنا، وهو مدجج بالأسلحة من كل الأنواع وأحدث الطرز، وبما فيها السلاح النووى، وقد يأتى يوم يملك (مجنون) من زمرة المتطرفين الدينيين، المهووسين بأساطير «الخلاص» ونبوءات «آخر الزمان»، وأحلام «بناء الهيكل» مفتاح إطلاق «حرب يوم القيامة» فى منطقتنا، وهو أمر يستدعى أعلى درجات التهيؤ والاستعداد والحركة، حتى لا نصحو ـ كعادتنا ـ

على كارثة جديدة، ونروح نبكى ـ كما يحدث دائماً ـ على اللبن المسكوب، فضلاً عن مسلسل العدوان المستمر، الذى لم ينقطع يوماً، على شعوبنا وثرواتنا ومقدساتنا ومقدراتنا!

تبقى إشارة أخيرة أود أن أختم بها هذه المقدمة، وهى أننا حين نمعن النظر فى ثنايا المشروع الأيديولوچى، الفكرى والثقافى والسياسى والعسكرى، الذى بُنى على أرض فلسطين المغتصبة، يمكننا التوصل إلى فهم أعمق لخطورة «إسرائيل» الهائلة، ليس فقط على أبناء الشعب الفلسطينى، الذى فقد الأرض والوطن والاستقرار والأمن، وإنما، وبالأساس، على مصر أيضاً، ذلك أن صنّاع هذا المشروع والمخططين الاستراتيچيين له، كانت أعينهم دائماً موجهة إلى الهدف الكبير»، مصر، فهى الدولة الأقدم والاكبر والأهم والأضخم، من ناحية الإمكانات والقدرات، وهى التى تستطيع تجميع العرب فى مواجهة إسرائيل. وقد فعلت أكثر من مرة، ومن هنا كان استهداف مصر بؤرة تحرك السياسة الأمريكية الغربية، منذ العدوان الثلاثى (١٩٥٦)، وهزيمة يونيو (١٩٦٧) وحرب أكتوبر (١٩٧٣)، واتفاقات كامب ديڤيد (١٩٧٨).. وحتى الآن. وهذه الرؤية الموضوعية، ترد على مزاعم السلطة المصرية والطبقة الحاكمة، التى تدّعى أن مصر خاضت كل حروبها فى مواجهة «إسرائيل» دفاعاً عن فلسطين، وهى «لا ناقة لها ولا جمل فيها»، وهذا الأمر غير صحيح بالمرّة، فمفهوم الأمن القومى لبلادنا، والذى أدركه كل من محمد على وإبراهيم باشا وسليمان باشا الفرنساوى»، قائد العسكرية المصرية فى أواخر القرن التاسع عشر، كان يرى وعن حق وبُعد نظر، أن أمن مصر من أمن سوريا وفلسطين، وأن الدفاع عن القاهرة لا يبدأ بالدفاع عن دمشق والقدس وحسب، وإنما يمتد إلى «جبال طوروس»، حيث ينبغى مواجهة المخاطر التى تهدد مصالحنا.

ومن هنا جاءت الحاجة لإعادة طبع هذا البحث، الذى لم أجد ـ كما ذكرت ـ ضرورة لاستبدال أى سطر جاء فيه، أو الاعتذار عن خطأ لتقويم تضمنه، بل

جاءت التطورات المتواترة منذ عام (١٩٩٦)، عام صدور الطبعة الأولى، وحتى الآن. (والتى تولى فيها أمر قيادة دولة الاغتصاب الصهيونى كل من: «آريئيل شارون، و«بنيامين نتنياهو، و«أيهود باراك» و«تسيبى ليفنى» و«أيهود أولمرت»، و«بنيامين نتنياهو» مجدداً)، لكى تثبت للجميع الحقائق التالية:

(أ) اتجاه المجتمع الصهيونى إلى المزيد من التطرف واليمينية والعدوانية.

(ب) تراجع حجم وتأثير القوى (العلمانية) و(اليسارية) المزعومة، وبروز طبيعة «الدولة اليهودية»، كدولة عنصرية متطرفة.

(جـ) ازدياد وتيرة الطبيعة العدوانية للدولة، وتهجمها الهمجى على لبنان وغزة، دون أى سقف لنزوعها العنصرى التدميرى.

(د) ازدياد مستوى الدعم والإسناد الأمريكى (والغربى)، فى كافة عهود الرئاسة الأمريكية منذ «كلينتون» وقت كتابة ونشر الطبعة الأولى حتى «باراك أوباما»، الرئيس الأمريكى الآن، للعدوانية الصهيونية، والتواطؤ الفج والمكشوف مع الأهداف الإسرائيلية.

(هـ) اتجاه الواقع العربى إلى المزيد من التمزق والتشرذم والتراجع والانهزامية، والواقع الفلسطينى إلى المزيد من الانقسامية والتفتت، بما يعنى المزيد من الدعم لمستهدفات المشروع العنصرى الصهيونى، مع بالغ الأسف.

وإذا كان هناك فضل فى صدور هذه الطبعة الجديدة، فهو فى الأول والأخير، للأستاذ فتحى هاشم، صاحب دار نشر «جزيرة الورد»، الذى يضرب ـ بحماسه وتعاونه ـ المثل للمثقف الجاد، المهموم بشؤون وشجون وطنه وأمته، وللعاملين معه، الذين لم يتوانوا عن بذل جلّ جهدهم لإصداره فى شكله اللائق، فله ولهم جميعاً الشكر والعرفان.

أحمد بهاء الدين شعبان

القاهرة ـ ٢٠١٠

obeikan.com

تقديم

للكاتب الفلسطينى الأستاذ/ عبد القادر ياسين

مع انحطاط الظاهرة القومية فى أوروبا، فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، ولدت الفكرة الصهيونية؛ لذا حملت هذه الفكرة الملامح البشعة للقومية فى أحط صورها، بعد أن نجحت القوى الظلامية الأوروبية فى أن تجهض النهوض القومى فى القارة، ومن هنا جاء الطابع الفاشى للصهيونية.

فى السياق نفسه، كان طبيعياً أن تتكئ الحركة الصهيونية على الدين اليهودى، مادام اليهود مادتها البشرية؛ حيث يتيح هذا للقائمين على الحركة الصهيونية مجالاً رحباً لتضليل جموع اليهود، وحشدهم وراء الفكر الصهيونى.

لذا فلا مفارقة بين إلحاد جُل القادة المؤسسين للحركة الصهيونية وبين الدين الذى تسربلت به الحركة؛ الذى لم يكن أكثر من ثمرة للضرورة، ودليلاً أكيداً على مدى براجماتية هذه الحركة وقادتها.

لقد صدَّقت نسبة غير قليلة من اليهود دعاوى هؤلاء القادة المؤسسين، فاعتنق يهود متدينون كثيرون الفكرة الصهيونية، وأخذوا يعملون من أجل «العودة إلى أرض الميعاد». فيما رفض متدينون آخرون الفكرة، وقاوموها، ولايزالون؛ وفى مقدمة هؤلاء جماعة «ناطورى كارتا»، التى تدين الصهيونية وكيانها، على أن هذا لم يمنع منظمات صهيونية دينية كثيرة من أن تقوم فى فلسطين المحتلة، وتتغذى على التوراة والفكر الصهيونى، فى آن معاً.

هكذا، غداً موقع الدين اليهودى قلقاً فى الحركة الصهيونية وكيانها؛ حيث لا يستطيع القادة السياسيون الاستغناء الآن، عن هذا الدين، ولا يريد المتدينون اليهود أن يتركوا لهؤلاء القادة الفكرة الصهيونية وحركتها، حتى بعد

آن اكتشف هؤلاء المتدينون «لعبة» هؤلاء القادة.

ومنذ أن اكتشف القادة الصهاينة أن «الشرق أوسطية» أقدر على تحقيق الاهداف الصهيونية فى «أرض إسرائيل»، التى سبق أن دعوا إلى إقامتها «من النيل إلى الفرات»، فإن هؤلاء القادة بدأوا يستغنون، تدريجياً، عن الدين اليهودى؛ ودخل هذا الدين وبراجماتية الساسة الصهاينة فى صراع مكشوف داخل الكيان الصهيونى. وربما كان مقتل الرمز الصهيونى، إسحق رابين، خريف العام ١٩٩٥، أحد أهم تعبيرات هذا الصراع المحتدم المكشوف.

إن هذه العلاقة الملتبسة بين الدين والدولة داخل الكيان الصهيونى فى أمس الحاجة إلى من يرصدها فى حركتها، ويلقى الضوء على خصائصها المميزة، ويحلل أشكال تطورها، ويرصد نقاط اللقاء والافتراق بين طرفيها، فضلاً عن التأثير المتبادل بين هذين الطرفين، سلباً وإيجاباً. ناهيك عن استشراف مستقبلها.

إن موضوع هذا البحث أكاديمى كفاحى، فى آن معاً؛ لذا يجب ألا يُترك أمره لأكاديمى الأبراج العاجية، بل يجب إسناده إلى أكاديمى يكافح، ذى حس سياسى وطنى واضح. ومن هنا فالصديق العزيز أحمد بهاء الدين شعبان أهل لمثل هذه المهمة الأكاديمية الكفاحية، وهو الذى بدأ حياته العملية مكافحاً وطنياً، فى طليعة الحركة الطلابية المصرية، التى تُوجت بالاحتجاج الشهير الذى زلزل نظام السادات، مطلع سنة ١٩٧٢. ومن هذا الموقع دلف بهاء إلى الكتابة السياسية، ولم يأت إليها من قبيل الترف، أو لطبيعة دراسته الجامعية، أو من باب الصدفة.

ولا أخالنى أبالغ، إذا ما رأيت بأن الدين والعلمانية دخلا مواجهة دامية داخل الكيان الصهيونى، وستفضى هذه المواجهة إلى إعادة توزيع المواقع داخل هذه الكيان؛ كما أنها ستعيد صياغة الفكر الصهيونى، من جديد، بيد أن ذلك التوزيع وهذه الصياغة لن يتما بدون صراعٍ محتدمٍ دامٍ، من الصعب

التنبؤ بنتائجه، أو احتوائها.

لقد غدت هذه المواجهة، منذ سنوات قليلة، نقطة فرز واستقطاب داخل الحركة الصهيونية وكيانها؛ مما سيدفع بالليكود، باطراد، إلى هامش الحياة السياسية الصهيونية، ويجعل من حزب العمل والقوى الدينية الصهيونية قطب هذه المواجهة، بعد أن أخذ الليكود يفقد مبرر وجوده، ودخل فى حالة التأرجح بين البراجماتية السياسية والأيديولوچية الدينية؛ لن يفلت منها إلا بمعجزة، فى عصر توارت فيه المعجزات.

لعل من فضول القول بأننا تأخرنا كثيراً فى التعرف على ملامح عدونا المباشر، الصهيونية وكيانها، بعد أن أدرنا ظهرنا، طويلاً، لحكمة فيلسوف الصين القديم «صن تزو» القائلة: «أن تعرف نفسك وتعرف عدوك ففى مائة معركة ستنتصر مائة مرة».

عبد القادر ياسين

القاهرة فى ١٩٩٦/٦/٢٣

هناك حادثان هامان من طبيعة واحدة، لكنهما متعارضان، وهما: يقظة الأمة العربية، والجهد اليهودى الخفى لإنشاء مُلك إسرائيل القديم من جديد وعلى مقياس أوسع.

إن مصير هاتين الحركتين هو الصراع المستمر إلى أن تغلب إحداهما الأخرى.

ومصير العالم كله منوط بالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متعارضين.

«نجيب عازورى»

«يقظة الأمة العربية»

Le Reveil de la Nation Arabe, 1905

إن التحرر اليهودى يعنى فى النهاية، تحرر الإنسانية من اليهودية.

إن التحرير الاجتماعى لليهود هو تحرير المجتمع من اليهودية.

«كارل ماركس»

«المسألة اليهودية» ـ ١٨٨٤

هذا الكتاب... لماذا؟

منذ فترة ليست بقصيرة، لفت انتباهى - بصورة متعاظمة - وأنا أطالع تطورات الواقع داخل إسرائيل، ولابد أنه لفت انتباه الكثيرين أيضاً، التنامى المضطرد للدور الذى تلعبه، والنفوذ الذى تتمتع به، التيارات الدينية والأصولية اليهودية، وبالذات فيما يتعلق بقضية الأراضى العربية المحتلة، وما يتفرع عنها ويرتبط بها من مشكلات التسويات السياسية والاستيطان والعدوان الصهيونى المستمر على أبناء الشعب الفلسطينى، وعلى الجماهير العربية فى لبنان وغيرها من المناطق العربية الأخرى.

إن صورة الشاب اليهودى الذى يرتدى الطاقية اليهودية المزركشة الشهيرة، ويحمل على كتفه رشاش «عوزى»، ويمرق رائحاً غادياً مختالاً فخوراً داخل المناطق العربية المحتلة، وفى وسط التجمعات الفلسطينية، متحدياً، بروح الاحتقار والاستفزاز «أصحاب الدار» و«أهل البيت»، أو صورة الحاخام، المحتقن الوجه، النافر الأعصاب، الجاحظ العينين، الذى يصرخ فى مواجهة الفلسطينيين طالباً الدم، ومهدداً بالانتقام - لمن الصور التى أصبحت معتادة، وشبه يومية على شاشات البث التليفزيونى، أو من خلال الصحف والمجلات المحلية والعالمية، كذلك فإن النفوذ الذى بات يتمتع به رجال الدين مرتدى الملابس السوداء، مطلقى اللحى، حاملى التوراة، على الحياة السياسية والثقافية فى «إسرائيل» لمن الأمور التى أصبح بروزها واضحاً، لا يحتاج إلى جهد فى تبين ملامحه...

ومن هنا انتابنى الشعور بأنه قد أصبح من الضرورى لنا أن ننكب على قراءة هذا المتغير الجديد/ القديم، وأن نعكف على محاولة فك طلاسم هذه الظاهرة ودراسة أعماقها لأنها تؤثر - بشكل فورى، ومباشر - علينا وعلى مستقبل بلادنا، وأجيالنا القادمة.

ثم حدثت واقعتان إضافيتان، جعلتا من هذا التوجه أمراً أكثر إلحاحاً وحسماً.

أولاهما: إننى قرأت فى مجلة المصور (العدد ١٦٥٩)، بتاريخ ١٩٩٤/١١/٢٥ رسالة من «واشنطن». كتبها الصحفى الأستاذ «محمد وهبة» بعنوان «صدمة يوسى بيلين فى ... رق السمك، هل أصبحت الصيحة: لبيك يا إسرائيل... لبيك؟!»، ويحكى فيها عن محاضرة ألقاها «يوسى بيلين»، نائب وزير الخارجية الإسرائيلى، وأحد أهم الشخصيات التى «هندست» اتفاقية «السلام» الفلسطينى ـ الإسرائيلى (كما يذكر الكاتب)، أو التسوية الأمريكية ـ الاسرائيلية (كما أعتقد)، ومعه «إهود يعارى» أبرز خبراء التليفزيون الإسرائيلى فى الشئون العربية، وأكثرهم تردداً على الوطن العربى، وجها فيها الحديث إلى نخبة من قيادات الفكر والسياسة والإعلام فى واشنطن، فى اجتماع بمؤسسة «بروكنجز» الأمريكية الشهيرة، واهتماماتها بالمنطقة والتسوية فيها قديمة ومعروفة أيضاً.

وفى هذه المحاضرة، التى تناولت التغيرات شديدة الوقع التى تشهدها المنطقة، بعد أن أضاف «بيلين» مجموعة من الوقائع «الطريفة» إلى مجمل ملامح الصورة، منها حديثه عن اجتماع «غريب» و «مشجع» عقد فى القاهرة بينه وبين ممثل للجامعة العربية، نوقشت فيه إمكانية مشاركة الجامعة العربية فى المباحثات المتعددة الأطراف (مع إسرائيل)، (لم لا!!)، بدأ بيلين يحكى عن زيارته لـ «إحدى دول الخليج»، بهدف بحث العلاقات الثنائية بينها وبين إسرائيل، وعن العديد من الأحداث المماثلة، التى كانت أى منها كفيلة بأن تصبح حدث العام، غير أنها ـ لكثرتها وتواترها ـ لم تعد تصنع العناوين الرئيسية على صدر الصفحة الأولى للصحف، وإنما تحتل مكانها بين الأخبار العادية فى صفحاتها الداخلية (على حد قوله).

لكن كل ذلك لم يكن المهم، فى ما ذكره «يوسى بيلين» بل كان المهم هو الجزء من حديثه الذى يقول فيه: «بدون الدخول فى التفاصيل. لقد أصبحت هناك مصالح فى العالم العربى تريد أن تزج بنا (أى إسرائيل) فى الخلافات

العربية القديمة التى تقع فيه... وإننى أعتقد أن إحدى المشاكل التى سنواجهها فى المستقبل القريب جداً ستتمثل فى القرار الذى سنتخذه فيما إذا كنا سنشارك فى شىء من هذا القبيل... أم لا؟... إن الإغراء للمشاركة - يقول «يوسى بيلين» - لكبير، ولكنى أعتقد أننا يجب أن نأخذ حذرنا، خاصة وقد أصبحت هناك ضغوط علينا لكى نؤيد طرفاً عربياً ضد طرف آخر، ويمكن لى أن أقول - مرة أخرى - إننى عندما أتحدث عن تحديات السلام، فإننى أعتقد أنه كان أسهل لنا أن نكون مقطوعين عن (العالم) العربى، لا تعرف بالضبط من ضد من؟! ولماذا؟ من أن نكون فى وضعنا الحالى، وقد فُتحت الحدود لنا، وبدأنا نشعر بأننا أصبحنا ضمن اللاعبين فى هذه الساحة».

انتهى المقتطف الطويل، الذى أوردته بحذافيره، لدلالته التى لا تكاد تخفى على أحد، وأشارك الأستاذ «محمد وهبة» الصحفى المصرى والسفير العربى، الذى كان بجانبه فى اللقاء، شعورهما بالعار، وكذلك تعبيرات التساؤل والاستغراب التى عَبَّرَ عنها الصحفى المصرى:«أبهذه السرعة تحول عدو الأمس إلى حليف للبعض منا ضد البعض الآخر، لدرجة أثارت الإشمئزاز فى نفس صديق اليوم، فغداً يترحم على أيام زمان، عندما كان بعيداً عن هذا القرف!!!».

ومن أجل هذه الواقعة وغيرها التى تثير الاستياء و«القرف» بالفعل، وددت لو أتيحت لى الفرصة، كى أعرض فى سطور هذا الكتاب، وبالتفصيل أحياناً، كيف يرانا هؤلاء الحلفاء الجدد؟! كيف ينظرون إلينا؟! وكيف يخططون لنا؟! وكيف يترجمون أطماعهم فى ثرواتنا وبلادنا.

ومرة أخرى وجدت أنه من الضرورى أن أقدم صورة عن قطاع هام وخطير من مجتمع الأصدقاء الجدد وحلفاء آخر الزمان. قطاع سيكون له دور، وأى دور، فى المستقبل القريب، حينما تنتقل المفاوضات بين الفلسطينيين والصهاينة إلى تلك النقاط الأساسية المؤجلة المتعلقة بالمستوطنات، وبوضع مدنية القدس، والتى لازلنا نراهن على «شهامة» وأريحية «الأصدقاء» فى حلها. وحيث سيكون لهؤلاء المتطرفين العنصريين الكلمة العليا فى صياغة الحل «المأمول»!!.

أما الواقعة الثانية التى أكدت الحاجة لمثل هذه «القراءة» لحاضر القوى والاتجاهات الدينية والأصولية داخل إسرائيل وتجلياتها، فهى الرصاصات التى أطلقت يوم ١٩٩٥/١١/١١. فأردت رئيس الوزراء السابق «إسحق رابين» قتيلاً، فقد أكدت تأكيداً لا مزيد عليه أن العالم كله (الذى انتابته الصدمة لما حدث) وليس لدينا فقط، فى حاجة إلى مضاعفة الاهتمام بما يجرى داخل هذا القطاع الفاعل فى السياسة الاسرائيلية الآن.

لقد فجّرت الرصاصة التى أطلقها «إيجال عامير»، العديد من التساؤلات، وطرحت الكثير من علامات الاستفهام حول طبيعة القوى «الأصولية» اليهودية، فى إسرائيل، وبخصوص تكوين وحراك الأحزاب والتكتلات الدينية فيها.

وكان من الواضح ـ من حجم الصدمة التى انتابت، ليس فقط الرأى العام، وإنما أيضاً «المعنيين» داخل إسرائيل وخارجها ـ أن حدود المعرفة بهذا القطاع المهم من المجتمع الإسرائيلى ضئيل للغاية، وأن الوعى بأبعاد نشأة هذه التيارات، وإدراك مضامينها الفكرية، وتكتيكاتها التنظيمية، وقدراتها الحركية، لا يرقى ـ بحال ـ إلى مستوى وضعيتها الفاعلة والمؤثرة فى صياغة السياسات الإسرائيلية، وتوجيه عملية صنع القرار الاستراتيجى بها، وخاصة فيما يتعلق بنقاط الصراع المصيرى مع الأمة العربية: كقضايا الأراضى العربية المحتلة، والحدود «التوراتية» المزعومة لما يطلقون عليه اسم «أرض إسرائيل الكاملة»، وكذلك الموقف من مسألة المستوطنات، وموضوع مدينة القدس ومستقبلها، ومستقبل المقدسات الإسلامية فيها، وقضية عودة أبناء الشعب الفلسطيني... إلخ، وهى قضايا شديدة الخطورة والتفجر، وستكون محل صراع دام فى الشهور القليلة القادمة.

ونحن فى الوطن العربى، معنيون، من شتى الزوايا، بدراسة هذه الظاهرة، وبتعمق مكنوناتها؛ فالركون إلى الاسترخاء تحت تصور واهم ينطلق من أن «التسوية السياسية» الراهنة، أو ما أُطلق عليه إسم «عملية السلام

العربى ـ الإسرائيلى» يحل لب المشكلة، وينفى جوهر التناقضات الموضوعية، ويبدد كافة مقومات الصراع، يشكل تهديداً خطيراً على مستقبل أمتنا ومصائر شعوبنا، بل ويطول مستقبل «السلام» الحقيقى ذاته، فمفهوم بالطبع أنها تسوية تتم فى ظل موازين قوى مختلة اختلالاً بيِّناً لصالح إسرائيل، وهى لم تتخل عن أى من المقومات الأيديولوچية العنصرية الصهيونية، الاستراتيچية، وهى متمسكة بثوابتهاالأساسية، وتوجهاتها الرئيسية، وإن بدَّلت بعضاً من مساراتها التكتيكية استجابة للمستجدات، وهى ـ إلى ذلك ـ لا زالت تحشد آلتها الحربية الضاربة، وحريصة كل الحرص على دعمها بكل جديد فى مجالات تكنولوچيا السلاح، وهى القوة الوحيدة التى تنفرد بالخيار النووى فى المنطقة؛ الأمر الذى يضفى على توجهاتها هذه سمات عدوانية جليِّة، برغم كل ما تم على مسار التسوية حتى الآن.

ومن هنا كانت أهمية موضوع هذه الدراسة، التى تستهدف:

١ ـ استجلاء غوامض القوى الدينية، والاتجاهات الأصولية، فى إسرائيل، ومحاولة رسم خريطة واقعية لها، وبناء هيكل موضوعى لعناصرها، يفيد القارئ وصانع القرار، فى فهم هذه الظاهرة، وتلمُّس مواقع الأقدام فى مواجهتها، مع شرحٍ مركزٍ ووافٍ لنشأتها التاريخية، والخلفية الأيديولوچية والتراثية لعقيدتها.

٢ ـ تبيان ملامح الوحدة والصراع فيما بين صفوف هذه القوى من جهة، وفيما بينها وبين سائر القوى السياسية الأخرى (العلمانية ـ الدنيوية...)، الصهيونية، الأخرى من جهة ثانية.

٣ ـ دراسة مواقف هذه القوى الدينية والأصولية من قضايا تمس مصير أمتنا العربية، كقضايا تحقق «الوعد الإلهى» المزعوم، والموقف من «الأغيار»، وفكرة بعث «المسيح المخلص»... وقضية إعادة بناء «الهيكل الثالث» فى موقع المسجد الأقصى الشريف... إلخ، وكلها قضايا شديدة التفجر، وتعنينا بصورة مباشرة.

٤ ـ محاولة استشراف المستقبل، وقراءة احتمالات نمو (أو تقلص) ظاهرة التطرف الدينى اليهودى، وما تشكله من تهديدات لمجمل البناء السياسى الصهيونى، داخل إسرائيل، وانعكاسات ذلك على أوضاعنا، وعلى مستقبل المنطقة.

ثم يجىء مبرر موضوعى آخر يحتم تعميق وعينا بهذه الظاهرة الخطرة، بكافة أبعادها: فكلنا يعلم أن حزب الليكود اليمينى المتحالف مع الاتجاهات الدينية والأصولية قد حملته أصوات الناخبين الإسرائيليين عام ١٩٧٧ إلى السلطة، التى ظل على قمتها حتى انتخابات عام ١٩٨٨، ثم فى الانتخابات التى تلت ذلك العام، وحتى الآن، استُبدل بتحالف عمالى/(يسارى)/ عربى (ممثلين لعرب الأراضى المحتلة) هش بفارق ضئيل للغاية، لم يتعد صوتاً واحداً أو صوتين فى بعض الأحيان. وبمعنى آخر، فإن هناك على الأقل نحو نصف الإسرائيليين يتبنون سياسة عنصرية معادية عداءً مطلقاً للعرب وللفلسطينيين وللسلام الحقيقى، ناهيك عن أن قطاعاً عريضاً من النصف الآخر، الذى يقبل ما يسمى بـ «التسوية»، (وأساساً من «صقور» حزب العمل)، هو أيضاً، وبفروق طفيفة، ينتمى إلى معسكر المتطرفين العنصريين الصهاينة؛ غير أنه، لظروف عديدة، لا يتدخل بقوة لعرقلة المفاوضات الجارية، وربما لإدراكه أنها ـ فى نهاية المطاف ـ تحقق أهدافه الاستراتيچية، حتى لو اضطره ذلك إلى بعض التراجعات التكتيكية، أو تقديم بعض التنازلات الشكلية، التى لا تمس جوهر المشروع الصهيونى، ولا تطول برامجه بعيدة المدى، ولنا فيما حدث من مجازر فى لبنان، خلال شهر إبريل ١٩٩٦، على يد قوات العنصرية الصهيونية بقيادة (داعية) السلام و«الشرق الأوسط الجديد»، «شمعون بيريز»، فى هذا الشأن، عبرةً لا مزيد عليها.

لهذا كله، ولغيره من أسباب، رأيت بعد أن قدمت «الاستراتيچية العسكرية والإسرائيلية عام ٢٠٠٠» سنة ١٩٩٣، و«اتفاق غزة أريحاً: الملامح والنتائج السياسية والاقتصادية» (بالمشاركة مع الأستاذة «نادية رفعت») سنة

١٩٩٤، أن أقدم هذه الدراسة عن «الدين والدولة فى إسرائيل»، التى تدرس مقومات دولة الحرب والعدوان العنصرية الصهيونية، بشقيها: العسكرى والدينى، وتبحث فى تطور العلاقة التاريخية بين جناحيها المدنى واللاهوتى، حتى يكتمل جانب من جوانب الصورة، وبما يساعد فى رؤية ملامح صراع المصير الدائر - على كل المستويات - فوق أرضنا.

ومن المهم أن أشير - فى هذا السياق - إلى أننى قد ركَّزت فى صفحات هذه الدراسة، من بين العديد من القضايا التى يطرحها موضوع «الدين والدولة فى إسرائيل»، على تلك القضايا التى تمس، أو تنعكس - بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر - على واقعنا العربى، وحاولت أن ألتقط رؤى ووجهات نظر هذه الاتجاهات والقوى الصهيونية واليهودية - محل الدراسة - فى موضوعات أساسية تهمنا كالتسوية والاستيطان والدولة الفلسطينية والقدس.. إلخ، أى: تلك المسائل التى ستحكم مسار الوضع القادم، ومستقبل أجيالنا.

ومما هو جدير بالذكر أن محتويات هذه الدراسة قد تم الفراغ من صياغتها، بصورتها النهائية، قبل إعلان نتائج انتخابات الكنسيت الرابع عشر، التى جرت فى شهر مايو ١٩٩٦، ولم أجد فى هذه النتائج (التى ترتب عليها فوز حزب الليكود مدعوماً بالأحزاب والتكتلات والتيارات الدينية) ما يدعونى إلى إعادة النظر فيما احتوته من تحليلات، لأنها جاءت بصورة واضحة، مؤكدة لمجمل الاستنتاجات ووجهات النظر التى تحملها صفحات الكتاب.

ولعلى أكون، بذلك قد وفيت بجانب من الأمانة، وقلت ما أحسست أنه يتوجب قوله فى هذه الأيام العصيبة، التى اختلطت فيها «الحابل بالنابل»، وغابت فيها الحقيقة، وارتدى الذئب جلد الحمل، والعدو رداء الصديق.

أحمد بهاء الدين شعبان

القاهرة - يونيو ١٩٩٦

«أرض إسرائيل (Erez ـ Esrael) هى ميراث مقدس لدى كل يهودى، ولا تملك أية سلطة دنيوية أو دينية القدرة على نقض هذا الادعاء، أو التقليل من شأنه.

«إسحق نسيم»

حاخام إسرائيل الأكبر الأسبق

يونيو ١٩٦٧

* * *

لقد أدار رجال الدين ظهورهم لكل تحذيرات الأنبياء والحكماء ضد القوة، وأصبحوا أكثر الناس حماساً وإعجاباً بالجيش والروح العسكرية، وبالأساليب المسلحة العنيفة... وهم بهذا يعطون الجيش الإسرائيلى شهادة الإثبات بأنه يُنَفِّذُ تعاليم الدين اليهودى.

«ناثان هوفش»

«الحاخامون والجيش»

جريدة «نير»، يناير ١٩٥٦

obeikan.com

الأحزاب الدينية

خريطة التحالفات والإنشقاقات التاريخية

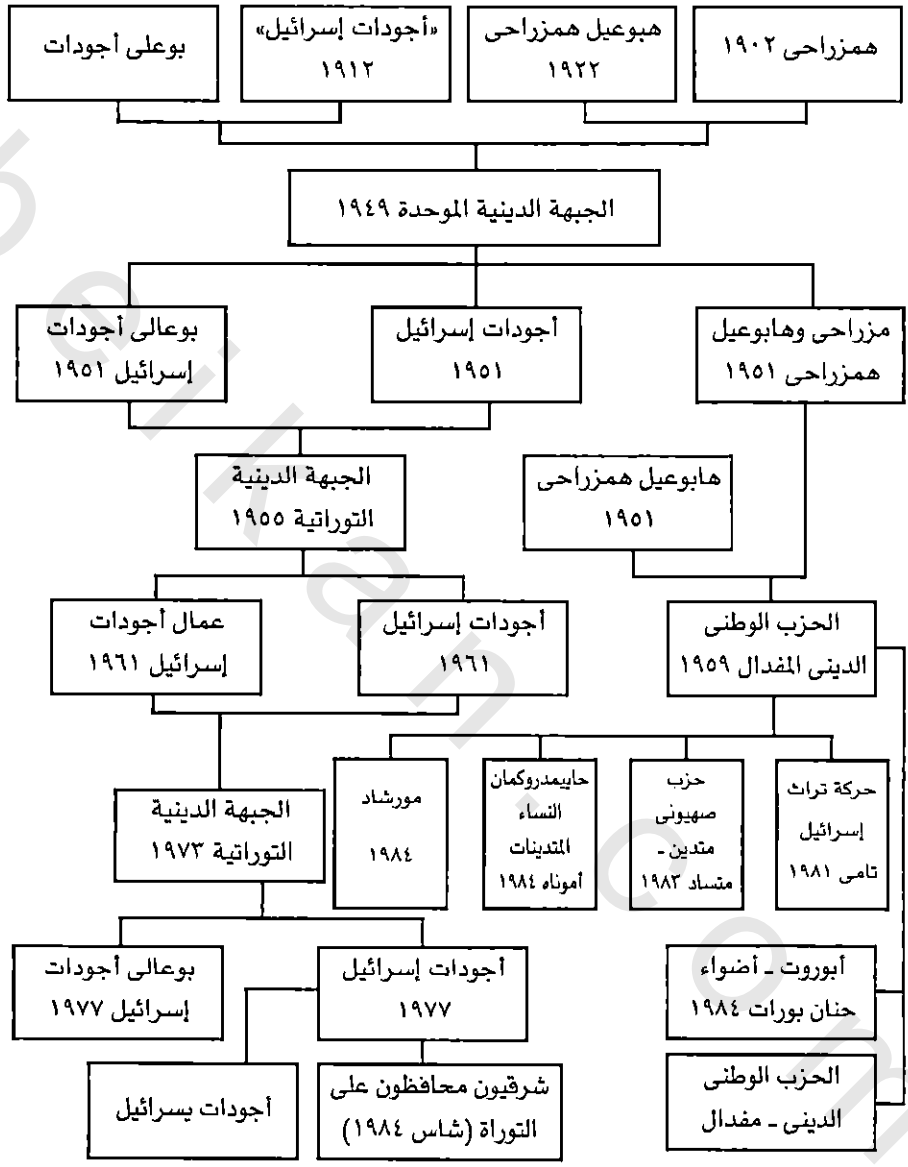

المصدر: «الأحزاب والحكم فى إسرائيل»، غازى السعدى، دار «الجليل» للنشر والدراسات الفلسطينية، عمان ـ الأردن، ١٩٨٩، ص: ٣١٤.